

تفسير السعدي

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلَهُ ^ج وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ^ق وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

ثم سألهم بما حصل لهم من الهزيمة، ويبيّن الحكم العظيمة المترتبة على ذلك، فقال: {
إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ } فأنتم وإياهم قد تساوتم في القرع، ولكنكم
ترجون من الله ما لا يرجون كما قال تعالى: { إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ
وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ } ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن
والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة
الأخرى، لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة
للذين آمنوا. { وليعلم الله الذين آمنوا } هذا أيضا من الحكم أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة
والابتلاء، ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل
في الإسلام من لا يريد، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن
حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك. }

ويتخذ منكم شهداء { وهذا أيضا من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله من أرفع
المنازل، ولا سبيل لئليها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده
المؤمنين، أن قيِّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل
العالية والنعيم المقيم، { والله لا يحب الظالمين } الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن
القتال في سبيله، وكان في هذا تعريضا بدم المنافقين، وأنهم مبغضون الله، ولهذا ثبطهم عن
القتال في سبيله. { ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل
اقعدوا مع القاعدين }